

بشامون بلدة الإستقلال

إرتبط تاريخ بشامون بمعركة تحقيق استقلال لبنان في العام 1943 وارتبط منزل الشيخ حسين الحلبي فيها بحكومة الاستقلال التي اتخذته مقرًا لها حيث رُفِع أول علم لبناني رمزا للحرية والاستقلال. قصة بيت الاستقلال هي قصة الناس الذين آمنوا بالوطن وبذلوا التضحيات ببساطة وشفافية عين المياه وشموخ السنديانة في بشامون. هذا البيت الذي حضن الامال غير مرة آن الأوان كي يعود ويشهد من جديد ويستعيد في كل سنة المعاني النبيلة التي جعلت منه بيت الاستقلال في الطريق الى بيت الاستقلال.

وعدت فرنسا اللبنانيين والسوريين بالإستقلال على مدى العشر السنوات الأخيرة من عمر الانتداب ولكن فرنسا لم تف بوعودها أبدًا. كان الشعب اللبناني وزعماءه ضد الانتداب ومنهم بشارة الخوري ورياض الصلح وعبد الحميد كرامي وصبري حماده ومجيد إرسالان وكميل شمعون وعادل عسييران وحبيب ابو شهلا وسليم تقلا وصائب سلام وغيرهم وكانوا شعبًا وقادة مصممين على خوض معركة الاستقلال واتحدوا في جميع المناطق قبل انتخابات صيف 1943 وفازوا بها.

21 ايلول 1943، كانت رئاسة المجلس معقودة لصبري حمادة وانتخب مجلس النواب الشيخ بشارة الخوري رئيسًا للجمهورية وعين رياض الصلح رئيسًا للحكومة الجديدة وكل من حبيب أبو شهلا وسليم تقلا وكميل شمعون ومجيد إرسالان وعادل عسييران ووزراء. وأوكلت الى هذا الفريق مهمة الخروج بلبنان من قيود الانتداب الى فضاء الإستقلال. 7 تشرين الاول 1943. كان يوم جلسة اذاعة البيان الوزاري للحكومة في مجلس النواب. وتقاطرت الجماهير تحتل ساحة النجمة منذ الصباح حتى ضاقت بها السطوح

والشرفات والشوارع المحيطة بالبرلمان. حدد البيان الوزاري أهداف حكومة رياض الصلح، حكومة الإستقلال الأولى وفيها أن الدستور يجب أن يعدل وتحذف منه جميع النصوص التي تشير الى الانتداب وأن لغة البلاد الوحيدة هي اللغة العربية وأن لبنان بلد ذو وجه عربي لا يحكم لا من الغرب ولا من الشرق. وقع البيان على سلطة الانتداب وقع الصاعقة وبادر المندوب الثاني الفرنسي الجنرال كاثرو في لبنان وسوريا الى ابلاغ الحكومة اللبنانية ان لا حق لها في تعديل الدستور وان هذا العمل من طرف واحد يعتبر خرقاً للانتداب وهدد اعضاءها بالاعتقال اذا ما انجزوا تعديل الدستور. كان الرد من الحكومة أن الإستقلال يؤخذ ولا يعطى.

8 تشرين الثاني 1943، دعا رئيس المجلس النيابي صبري حمادة الى عقد جلسة تعديل الدستور في 8 تشرين الثاني وفي اليوم المذكور كانت القاعة تعج بالجمهور. النواب في مقاعدهم وسطوح المنازل والشرفات والشوارع المحيطة بالشعب اللبناني وضغط الجنرال مدير الأمن العام على النواب بأمر من الجنرال كاثرو وطلب منهم انتظار وصول الجنرال هلو من القاهرة للبت بأمر التعديلات وهددهم بعدم حضور الجلسة ولكن باءت جهوده بالفشل. حضر الجلسة ثلاثة وخمسون نائباً وقر المجلس مشروع تعديل الدستور وطهره من جميع المواد والنصوص التي تذكر الانتداب ولما انتهى التصويت وقف النواب والنظارة وانشدوا بصوت واحد كلنا للوطن.

9 تشرين الثاني 1943، حضرت المواد الدستورية المعدلة ووقعت من رئيس المجلس صبري حمادة ووافق على نشرها في الجريدة الرسمية رئيس الجمهورية بشارة الخوري ورئيس الحكومة رياض الصلح وصدرت الجريدة الرسمية في صباح الثلاثاء 9 تشرين

الثاني وهي تحمل المواد المعدلة. خاف خليل تقي الدين أمين سر المجلس النيابي على محضر التعديلات ان يسرقه احد او يضيع او يحترق فذهب مع يوسف ضو نائب البترون الى كنيسة الأباء الكبوشيين في باب ادريس وخبأ محضر تعديل الدستور في عمود تمثال العذراء وبقي هناك لغايه 22 تشرين الثاني.

10 تشرين الثاني 1943، يقول الشيخ بشارة الخوري في مذكراته ” وبينما كنا مجتمعين يوم الأربعاء صباحًا في مجلس الوزراء تلقينا من المندوبية العامة مخابرة هاتفية بانها الغت دعوة الوزراء الى حفلة العرض العسكري بذكرى عيد الهدنة في 11 تشرين الثاني فابلغتها بدور انني لن احضر ولن تشترك بها الفرقة العسكرية اللبنانية. وازدادت هواجس اللبنانيين واشتد قلقهم جراء اشاعات عن امكانية حدوث اصطدام بين الجماهير المحتشدين ورجال الامن العام الفرنسي بعد اقتحامهم دور الصحف الوطنية في بيروت ومصادرتها. وفي ذلك اليوم ولدت الجريدة السرية واصدرها نعيم مغبغب بعدما منعت السلطات الفرنسية الصحف من نشر اخبار التعديل الدستوري. وعمت المظاهرات في انحاء البلاد واقفلت المدارس والجامعات.

في 11 تشرين الثاني 1943 ليلة الاعتقال

داهمت قوات من البوليس منازل الشيخ البشاره الخوري رئيس الجمهورية ورياض الصلح رئيس الوزراء والوزراء عادل عسيران وكميل شمعون وسليم تقلا والزعيم الطرابلسي عبد الحميد كرامي واعتقلتهم جميعا واقتادتهم الى معتقل راشيا.

انتفض الناس في الشوارع والقرى والمدن ردا على اخبار الاعتقال وعمت المظاهرات بشكل عفوي المناطق اللبنانية واقفلت المدارس والجامعات واعلن الاضراب العام وتم

تمزيق صور ديغول في الساحات واحتلت القوات السنغالية الشوارع الرئيسة وازدعت محطة راديو الشرق بيانا لسلطة الانتداب تقول فيه: "إن غاية الاعتقال هو تعطيل الحياة النيابية ونزع السلطات من رئيس الجمهورية والحكومة وتعليق الدستور واقامة النظام في البلاد بأمره المفوض السامي الفرنسي". وعينت سلطة الانتداب إميل إده رئيسًا للدولة ورئيسًا للحكومة ولم يتعاون أحد مع الرئيس المعين. وعقدت في البرلمان جلسة مقاومة رغم حصار الجنود السنغاليين وحضر الجلسة كل من الرئيس صبري حمادة وهنري فرعون وصائب سلام ومحمد الفضل ومارون كنعان ورشيد بيضون وسعدي الملا وسجلوا في مذكرة احتجاجهم الفاضح على التدابير المستتكرة التي أقدم عليها جنود فرنسيون مسلحون بحق فخامة الرئيس ودولة الرئيس واصحاب المعالي الوزراء. وتم الاتفاق على علم لبناني جديد: أرزة خضراء في بياض محفوف من جهتيه بالاحمر اما الأرزة فرمز لبنان الخالد. أما الابيض فلون السلام وأما الأحمر فلون الثورة. رسم العلم الجديد هنري فرعون وصائب سلام وخليل تقي الدين ووقع جميع الحاضرين عليه باعتباره علم لبنان الحر المستقل.

خرج المجتمعون من دار البرلمان بقوة السلاح وحاول الجنود اعتقالهم ولكن الجمهور حال دون ذلك. تقرر أن يجتمع المجلس في الساعة الرابعة من 11 تشرين الثاني 1943 في دارة صائب سلام في المسيطبة وانعقد المجلس بحضور 38 نائبًا من اصل 55 نائبًا ووافقوا على الوثيقة التي وضعت في الصباح وفيها تأكيد على شرعية ودستورية الرئيس والحكومة ومن يقوم مقامه من الوزراء في حال تعذر ممارسة الرئيس مهام منصبه. وفي السادس من مساء ذلك اليوم اعلنت محطة راديو الشرق وهي في

أيدي الفرنسيين عن منع التجول اعتباراً من الساعة السادسة والنصف وسجل أيضاً انقطاع الاتصالات الهاتفية.

في 12 تشرين الثاني 1943 انعقد المجلس ثانية في دارة صائب سلام وناقش الموقف وجدد الثقة بالحكومة وحمل كل من حبيب أبو شهلا وصبري حماده ومجيد ارسلان وخليل تقي الدين بتكليف من المجلس الوثيقة التاريخية التي وضعت في البرلمان ووافق عليها 38 نائباً الى منزل الجنرال سبيرز ممثل بريطانيا وسلموه اياها ليرفعها الى حكومته. وابلغ سبيرز الوفد استعدادة لوضع طائرة حربية بريطانية بتصرفهم تنقلهم الى مصر لتقادي الصدام وتأليف حكومة منفى ورد الامير مجيد: "إننا مصممون على المقاومة اما الاستقلال واما الاستشهاد".

واضاف حبيب ابو شهلا: نشكركم على عرضكم ونعتذر عن عدم قبوله" ثم كانت زيارة للقنصلية العراقية وحذرهم القنصل تحسين قدري بأن رجال الأمن العام الفرنسي جادون في اثرهم. تشاوروا واستقر الراي على سلوك طريق البحر في اتجاه الشويفات. راكب حبيب ابو شهله والامير مجيد سيارة وركب صبري حمادة وخليل تقي الدين في سيارة رئاسة المجلس. في الطريق أشار الأمير مجيد بيده لسيارة الرئاسة ان اتبعونا وصلوا الى الشويفات ثم عين عنوب فبشامون فوجدوا في ساحة البلدة جمهرة كبيرة من اهل بشامون والجوار تنتظرهم بسلاحها ورهن إشاره الأمير مجيد إرسال.

في 12 تشرين الثاني 1943 حكومة الاستقلال - بشامون بلدة الاستقلال

وبعد يسأل المرء لماذا بشامون لانها صدفة من غير ميعاد بل خير من ميعاد كما يقول خليل تقي الدين ام لأنها منطقة نفوذ الامير مجيد ارسلان. في كتابه ولادة استقلال

يكشف منير تقي الدين السر فقد كانت بشامون المكان الوحيد الملائم لقربها من العاصمة ولأنها امتداد طبيعي لتلك القرى المجاورة من منطقة الغرب والجرد التي تشكل قوة عسكرية تتكون من الاهالي ومن المتطوعين في صفوف الجهاد والقتال. وليس لها غير طريق واحدة تسلك من عين عنوب وتنتهي في بشامون. كان الناس متجمهرين في الساحة في شبه تنسيق مسبق بينهم وبين الامير مجيد مسلحين وغير مسلحين يتوقعون وصول الأمير مجيد في أي لحظة للترود بتوجيهاته وارشاداته. في ذلك النهار أطلقت القوات الفرنسية النار على مظاهرة طالبية أمام بعثة سبيرز في بيروت وسجل سقوط جرحى.

الحكومة وبيت الاستقلال

بيت الشيخ حسين الحلبي

كان حبيب ابو شهلا نائباً لرئيس الوزراء والأمير مجيد وزيراً للدفاع واعتبر الاثنان مجلس وزراء يكون مقام رئيس الجمهورية فكانت حكومة بشامون تتألف من حبيب ابو شهلا رئيساً ومجيد ارسلان عضواً والقائد العام للحرس الوطني. أما صبري حماده فكان رئيساً لمجلس النواب ومؤازراً الحكومة في اعمالها ومقرراتها. وعينت الحكومة خليل تقي الدين مديراً بالوكالة لغرفة رئيس الجمهورية واكتمل عقد المساعدين بوصول منير تقي الدين ونعيم مغبغب واديب البعيني وهاني الهاني. مارست الحكومة مهامها في بيت الاستقلال وأثبتت مصداقيتها وأصدرت قراراتها الحرة فما هي قصة هذا البيت الذي لا يزال قائماً باعتباره رمزا من رموز الاستقلال؟

وصل رجال الاستقلال الى بشامون واستقبلهم الأهالي في منزل المختار الشيخ ظاهر عيد واقترح بعضهم على رجال الاستقلال الذهاب الى بلدة سارحمول لأنها تبعد 3 كلم عن بشامون ولا طريق للسيارات اليها ولا يستطيع الفرنسيون الوصول اليها.

وفي اثناء التداول وقف رجل مهيب اسمه الشيخ حسين الحلبي من بلدة بشامون وقال بكل جرأة وقوة مخاطباً رجال الاستقلال والجمهور: إن بيتي محايد وغير مواجه وبعيد عن الانظار فتفضلوا. فقال له صبري حمادة: يا شيخ بهبطوا لك بيتك. أجابه حسين الحلبي: يلي عمره بعمر غير فداء الوطن.

- عيلتك واولادك يمكن يموتوا تحت الانقاذ

- اجاب: المهم يبقى لبنان

الحكومة وبيت الاستقلال - بيت الشيخ حسين الحلبي

وكان الشيخ حسين الحلبي والمختار ظاهر عيد وشكيب الحلبي متفقين في الراي والموقف وفي مؤازرة الثوار وكان بينهم كامل وعادل ابناء الشيخ حسين الحلبي. وافقه جميع الحاضرين الراي وانتقلوا الى بيت حسين الحلبي الذي اعتبر مقراً مؤقتاً للحكومة ويقع البيت في اعلى البلدة ويتألف من جناحين احدهما للنوم والآخر للاجتماعات والعمل وفي هذا البيت رفع اول علم لبناني وكانت عائلة حسين الحلبي واولاده وجميع عائلات بشامون رجالا ونساء في خدمة ثورة الاستقلال ورجاله. أوفدت الحكومة خليل تقي الدين الى الشياح حيث يقيم الكولونيل فوزي طرابلسي ودعاه لالتحاق بالحكومة الشرعية وعينته الحكومة قائدا لقوى الامن الداخلي. راي فوزي طرابلسي بعض الشبان

وهم مسلحون بالبنادق الحربية وقال: انا لا اقبل ان اقود عصابات. انا لا أقود إلا جنودنا نظاميين. وبقي الكولونيل بلقبه وبدون ممارسة لصلاحياته وعهد الى منير تقي الدين ونعيم مغبغب وأديب البعيني في قيادة الحرس الوطني وقيادة العمليات العسكرية والتنظيمية والميدانية. وتوزع المشاهدون على شكل فرق انتشرت على حدود البلدة وأطرافها واقفلت الطريق بين بشامون وعين عنوب عند السنديانة بالمطارس والحجارة.

جسدت الحكومة في بشامون المقاومة اللبنانية وحافظت على الجذوة مشتعلة ومنقذة وجاهدت لابقاء الشرعية قائمة في وجه اللاشرعية التي فرضها الانتداب. ولكن ما يجدر التوقف عنده هو الالتفاف والدعم والاحتضان الشعبي في بشامون والقرى المجاورة ومنطقة الغرب والجرد والشوف وعاليه وعموم مناطق لبنان وطوائفه لرجال الاستقلال وما يمثلون. كانت نساء بشامون يطبخن الطعام في ظل سنديانه دار البيت والرجال يتآذرون ويتناوبون على التدريب والمهام والوظائف وكان الثوار في اوقات الاستراحة يتوزعون على بيوت بشامون والجوار.

وغدد تلك البيوت مثل ثغفات لجنود الثورة. كلمات السر لدخول البيت

كانت حول البيت حراسة مشددة قوامها 10 هون شبان من البلدة يعرفون مداخل بشامون وطرقاتها ومخارجها. وكان لهم في كل فترة كلمه سر يجب ان يقولها المار امام المبنى فاذا جهلها يقبض عليه ويجري التحقيق معه وكانت كلمة السر تتالف من كلمتين. في اليوم الاول كانت بشارة رياض. وفي اليوم الثاني كانت راشيا بشامون

الشهيد سعيد فخر الدين

روايات كثيرة عن سقوط الشهيد سعيد فخر الدين ابن عين عنوب المجاهد المتحمس للقتال والاستقلال ويروي خليل تقي الدين ان بشامون تعرضت مرتين للهجوم معركة اولى كانت في 15 تشرين الثاني إذ هاجم العسكر الفرنسي مركز الحكومة الشرعية مرتين في الصباح وفي المساء فردته وحدات الحرس الوطني دون خسائر في الارواح من قبلها. ولكن سقط من القوة الفرنسية المهاجمة قتلى وجرحى. وثانية في صباح 16 تشرين الثاني اذ نشبت بين المهاجمين والحرس الوطني معركة قصيرة سقط فيها سعيد فخر الدين شهيداً وسقط بعض القتلى والجرحى من الجنود المهاجمين وأبلى رفاق سعيد فخر الدين أديب لبعيني منير تقي الدين ونعيم مغبغب البلاء الحسن في تلك المعركة. سقط سعيد فخر الدين في 16 تشرين الثاني بعد ان هاجم إحدى المصفحات بجسده ورمى قنبلة على المصفحتين فجدله الرصاص وروى بدمه هضاب بشامون وجذور سندية عين عناوب وفي 17 تشرين الثاني صدر البلاغ رقم واحد حول استشهاد سعيد فخر الدين.

العلم اللبناني

صباح الاحد 19 تشرين الثاني 1943 وصل الى بشامون أربعة شبان من بيروت مسلمين ومسيحيين يحملون علماً جديداً صنعه ايدي النساء في لبنان دخلوا الى سرايا الحكومة في بشامون ونشروه على الارض ليتامله الحاضرون تناول حبيب ابو شهله العلم وقدمه الى الامير مجيد ارسلان بصفته وزير الدفاع وقال له "اني بالنيابة عن فخامة رئيس الجمهورية ورئيس الحكومة وجميع المعتقلين في راشيا والسجون أضع في عهدتك على لبنان الجديد الخفاق وأطلب منك الدفاع عنه وحمايته". فرجع الامير مجيد

وقبل العلم وقال بتأثر " اقسم أن أزود عنه بدمي وأبذل في سبيله حياتي " وارتفع العلم فوق سراي بشامون علم لبنان الحر المستقل اعتبارا من صباح الأحد 19 تشرين الثاني 1943

رفض رجال الاستقلال التفاوض مع الحكومة الفرنسية

رفض رجال الاستقلال التفاوض مع الحكومة الفرنسية ورفضوا كل العروض التي قدمت اليهم وتوحدوا على كلمه سواء هي الاستقلال. عرضت الحكومة الفرنسية على بشارة الخوري إطلاق سراحه إن هو تخلى عن رياض الصلح فرفض. وعرضت على رياض الصلح العرض عينه فرفض. ولم يتخل كلاهما عن رفاق الجهاد. كما أوفدت الحكومة الفرنسية بيار بار معاون مندوب المفوض السامي لمفاوضة الحكومة في بشامون وأبلغه حبيب ابو شهلا أن حكومة لبنان الشرعية ليست مستعدة للمفاوضة الا اذا اطلق سراح المعتقلين وعادوا الى مراكزهم في سرايا لبنان. وبعد يومين أوفدت الحكومة الفرنسية الجنرال أوليفه روجيه وعاد خائبا وأمام إصرار صلابة موقف حكومة بشامون برفض المفاوضات قبل إطلاق سراح المعتقلين. كان صمود بشامون يفتح الطريق لتحرير راشيا والمعتقلين.

واطلق سراح المعتقلين بعد مفاوضات صعبة وعسيرة مع الفرنسيين في 22 تشرين الثاني 1943. ورفعت الجماهير العلم اللبناني الجديد على البلدية والسراي ومراكز الشرطة. وكان النصر وكان ثمرته استقلال لبنان التام والناجز

اما بشامون اما بيت المجاهد الشيخ حسين الحلبي اما أجواء بشامون وزمانها ومكانها فستبقى تستعاد ما بقي الاستقلال وحسبنا انه باق بقاء ديوان الافلاك. هذا البيت كان

غير مرة مقر الدولة والحكومة والبرلمان، وفيه صدرت القرارات الحرة التي جسدت فكرة الاستقلال ووحدة الشعب. في هذا البيت رفع العلم اللبناني لأول مرة لينتصب فوق المقر الذي اتخذته الحكومة مركزا لها في بشامون واليه شخصه الابصار من جميع القرى وبيروت والبقاع والجبل والشمال والجنوب وفيه نشطت الاتصالات وتعاضدت النفوس الحرة وتعاهدت لاجل الحرية والكرامة والاستقلال. نحتفي بهذا البيت اليوم وما مثله من قيم وطنية ومعنوية ورمزية في زمن معركة الاستقلال نعيد إليه الاعتبار ونرفع عنه حيف الإهمال والظلم والنسيان ونعود اليه بالروح عينها والمبادرة نفسها والشوق ذاته والأحلام إياها. كان هذا البيت غير مرة بيت الجمهورية مقر الحكومة الحرة وبيت الشعب وبيت الوحدة الوطنية وبيت الاستقلال.